

أثر التفسير الجغرافي للقرآن الكريم في الترجيح بين أقوال المفسرين في قصة عيسى عليه السلام

The effect of the geographical interpretation of the Holy Qur'an on the weighting between the commentators' statements regarding the story of Jesus, peace be upon him

د. محمد مُجَلِّي أحمد رابعة

الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، قسم أصول الدين (الأردن)

m.rababaa@ju.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2023/10/26 تاريخ القبول: 2024/12/04 تاريخ النشر: 2024/12/31

ملخص:

هدف البحث إلى معرفة الكشف عن وجه من أوجه الترجيح بين الآراء التفسيرية المعتمدة على توظيف الموقع الجغرافي في فهم كلام الله تعالى في قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام، فقام باستقراء التفسير لقصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام، ثم استخراج الأماكن التي كانت دلالتها محلّ خلاف بين المفسرين، ومن خلال المنهج الاستنباطي تبين أنّ محل الخلاف كان في محلّ المحراب الذي اتخذ زكريا عليه السلام لمريم بعدما كفّلها، ومنه كان انطلق البحث لمعرفة المكان الشرقي الذي انتبذت فيه قبيل البشارة بالحمل بعيسى، والمكان القصي الذي انتبذت إليه قبيل الولادة، ومكان الرينة التي آواها الله تعالى إليها، وكان لهذه الأماكن أثر في ترجيح سبب انتبذها الأول، وترجيح أنّ السري هو السيد وليس جدول الماء، وأنّ القرار والمعين هو كل ما يحتاجه الشخص للإقامة، ويكفي أن يكون ذلك في بيت لحم، دون غيره من الأماكن التي كان سبب ذكرها ابتداء بالاعتماد على الإسرائيليات.

الكلمات المفتاحية: قصة عيسى عليه السلام، التفسير الجغرافي، جغرافيا القرآن، التفسير المقارن.

Abstract

The research aimed to discover an aspect of the preference between the interpretive opinions based on employing geographical location in understanding the words of God Almighty in the story of Jesus, son of Mary, peace be upon them. So, it extrapolated the interpretation of the story of Jesus and his mother Mary, peace be upon them, and then extracted the places whose significance was a matter of disagreement between The commentators, and through the deductive approach, it became clear that the dispute was in the place of the prayer niche that Zekariyya, peace be upon him, took for Mary after he sponsored her, From there, the search was launched to find out the eastern place to which she retreated prior to the good news of the pregnancy with Jesus, the remote place to which she retreated to before birth, and the location of the hill to which God Almighty sheltered them. These places had an impact in giving preference to the reason for her initial retreat, she is sufficient for this to be in Bet-lahem, without any other place, which was initially mentioned by relying on the Israeli Novels.

Keywords: The story of Jesus, peace be upon him, geographical interpretation, geography of the Qur'an, comparative interpretation.

مقدمة

الحمد لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين،
وآل كل، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد وقفت على جملة من الاختلافات بين المفسرين مردّها إلى الاختلاف في الوصف الجغرافي للحدث، سواء في ذلك القصص القرآني أو أحداث السيرة النبوية الواردة في القرآن الكريم، وكذلك بعض الأماكن ذات الصلة بالعبادات كمشاعر الحج، ولم يكن من السهل الإحاطة بها كلّها في هذا البحث، فاخترت قصّة عيسى وأمه عليهما السلام لتكون أنموذجًا للبحث المقارن بالاعتماد على الجغرافيا؛ ليكون رافدًا من روافد الترجيح بين أقوال المفسرين:

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في أنه يقدم للباحثين في الدراسات القرآنية ما يلي:

1: الربط بين ما الجغرافيا المذكورة في القرآن الكريم والعلوم الحديثة ذات الصلة بالخرائط والمواقع والصور، والفيديوهات الحيّة للأماكن التي تجعل المتدبر لكلام الله تعالى ينتقل عبر الزمان والمكان؛ ليفهم الكلام على بابه حيث كان.

2: أنه يقدم نموذجًا للتفسير المقارن المبني على فهم المكان على الخارطة الحيّة، وليس عبر الخلافات الدائرة على الرواية قيل وقيل، بما يجعل القارئ يجزم، أو يقتنع بمكان ما ينطلق من خلاله لفهم كلام الله تعالى على بابه.

3: أنه يضع ضابطاً لنقد الدراسات والأبحاث التي تُعنى بجغرافية القرآن، خاصةً وأنها ظهرت من غير أهل الاختصاص بالتفسير.

مشكلة البحث:

تحدد مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الرئيس التالي: ما أثر التفسير الجغرافي

للمكان في الترجيح بين أقوال المفسرين في قصة عيسى عليه السلام؟

وتفرع عنه الأسئلة التالية:

1: ما أثر معرفة مكان المحراب الذي اتخذ زكريّا لمريم عليهما السلام في الترجيح بين أقوال المفسرين؟

2: ما أثر معرفة مكان ابتداء مريم عليها السلام في المرتين في الترجيح بين أقوال المفسرين؟

3: ما أثر معرفة الرهوة التي آوى الله تعالى إليها عيسى وأمه عليهما السلام في الترجيح بين أقوال المفسرين؟

4: ما أثر معرفة المرسلين إلى أنطاكية وحديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمن في الترجيح بين أقوال المفسرين؟

أهداف البحث: هدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

- 1: معرفة مكان المحراب الذي اتخذهُ زكريّا لمريم عليهما السلام في الترجيح بين أقوال المفسرين.
- 2: الوقوف على أثر معرفة مكان انتباز مريم عليها السلام في المرتين في الترجيح بين أقوال المفسرين.
- 3: تحري أثر الربوة ذات القرار والمعين في الترجيح بين أقوال المفسرين.
- 4: الوقوف على مدى الاستفادة من معرفة المرسلين إلى أنطاكية، وحديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمن في الترجيح بين أقوال المفسرين.

منهج البحث: لتحقيق الأهداف المتقدمة تمّ الاستعانة بالمناهج التالية:

- 1: المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الآيات ذات البعد الجغرافي في قصّة عيسى وأمه عليهما السلام، لأنه لا انفصال بينهما، ثم استقراء أقوال المفسرين الذين كانت لهم عناية بالبعد الجغرافي لأحداث القصّة.
- 2: المنهج التحليلي: حيث تمّ توزيع المادّة المجموعة على مبحثين، وكلّ مبحث له مطالبة التي تستوعب القضايا التي تحتاج إلى بحث.
- 3: المنهج الاستنباطي: والذي من خلاله تمّ حشد الأدلة التي استعان بها المفسرون لترجيح قول على آخر، ثمّ الموازنة بينها بالاعتماد على الجغرافيا والتاريخ واللغة والسياق والخرائط والصور، لتحديد المعنى الدقيق للموقع المقصود والمعنى المترتب عليه.

الدراسات السابقة:

حاولت استقصاء الدراسات التي لها عناية بالجغرافيا في القرآن الكريم، وقد وقفت على تسعة منها، وهذا عرض لها، مرتبة على حسب حروف المعجم:

- 1: الإعجاز الجغرافي في القرآن الكريم، حاتم إبراهيم عيسى، دار الغسق للنشر، سلمية-

سوريا، وهو منشور على إميل الباحث التالي: E-mail: mallsr@SCD-net.org.

يتناول الكتاب مجموعة من العناوين، وهي: (بدايات تشكل الكون، النجوم ومواقعها، المجموعة الشمسية، الجاذبية، توسع الكون، الشمس والقمر والوقود النووي، تعاقب الليل والنهار، المشارق والغارب، السقف المحفوظ، انتشار الضوء، الشهب والنيازك، الرياح، الأمطار والبرق، الأرض وبدايات تشكلها، الأرض ذات الصدع، البحر المسجور، معجزة الله تعالى في خلق البحار) وكان هدف المؤلف من خلالها إثبات أنّ في القرآن الكريم من العلوم الطبيعية التي تتوافق مع ما وصل إليه العلم التجريبي بأدقّ تفاصيله، ومن خلاله يمكن للمسلم أن يزيد يقينا بالقرآن، ويحسن في الدعوة إلى الله من خلال التسلّح بالعلم الذي أصبح لغة العصر، ومحتوى هذا الكتاب بجميع مقالات من أماكن شتى.

والذي يختلف فيه بحثه أنّه يسعى إلى تحقيق المكان الذي ذكره القرآن بالوصف دون الاسم، ومدى الاستفادة منه في فهم الآيات.

2: **أعلام المكان في القرآن الكريم دراسة دلالية**، يوسف أحمد علي أبو ريدة، رسالة ماجستير (2088م غير منشورة)، برنامج اللغة العربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة الخليل فلسطين، تناول في رسالته الديار والأقطار والمدن، والأماكن الجغرافية، وأماكن العبادة، وقد عزز ما ذهب إليه بتعريفها من خلال كتب اللغة والمعاجم، والتفاسير، وكتب علم الدلالة، وكتب الخرائط، وقد أجاد في تحديد الأماكن على الخريطة المعتمدة في الأطلس، مع الرسوم التوضيحية لبعضها مأخوذاً من مصادره، مثل: موسوعة أطلس العالم، وأطلس الحديث، وأطلس السيرة النبوية، ومجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، والتي ظهر من خلالها أنّ جميع تلك الأماكن حقيقية، وقد ارتبطت بها أحداث تناقلتها الأجيال، منها الباقي حتى هذه اللحظة، ومنها ما اندثر، وبقي ذكره في القرآن أو السنّة، وبين كذلك المؤلف ما لهذه الأماكن من أثر في ربط المسلم بهذه الأماكن بحيث يقتفي أثر الصالحين، ويحذر مصارع الفاسدين، دون الخوض في تكييف الآيات المتصلة بها.

يختلف بحثي عنه: في تخصيصه بالأماكن التي لها ارتباط بعيسى وأمه عليهما السلام، ممّا اختلف فيه المفسّرون، ومحاولة الترجيح بينها بناء على التحديد الدقيق لذات المكان.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

مقدمة

المبحث الأول: أثر الاختلاف في مكان انتباز مريم بعيسى عليهما السلام في المرتين في الترجيح بين المفسرين

المطلب الأول: أثر تحديد مكان انتبازها {مكاناً شرقياً} في ترجيح سببه

المطلب الثاني: أثر تحديد مكان انتبازها {مكاناً قَصِيّاً} في تحديد المكان المتفق مع سياق الآيات

المبحث الثاني: أثر معرفة الرّوبة في الترجيح بين أقوال المفسّرين

المطلب الأول: الرّأي الذي يرى أنّ المراد بالرّوبة غوطة دمشق

المطلب الثاني: الرّأي الذي يرى أنّ المراد بالرّوبة (مصر)

المطلب الثالث: الرّأي الذي يرى أنّ المراد بالرّوبة (الرملة)

المطلب الرابع: الرّأي الذي يعتمد الرواية وسياق القصة في التفسير الجغرافي

أولاً: أثر معرفة القرية التي جاءها المرسلون من عيسى عليه السلام في معرفة مكان الرّوبة

ثانياً: أثر حديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان في تحديد مكان الرّوبة

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

التمهيد: البحث في المكان الذي جرت فيه أحداث القصة:

يبدأ هذا الأمر من معرفة مكان إقامة النبي زكريّا عليه السلام وكفالتة لمريم، حيث ذكر أهل التاريخ أنّ مكانه كان في القدس ونواحيها، وكان نبيّ بني إسرائيل في ذلك الزمن، بعد فترة عودتهم من السبي البابلي¹، وفي زمنه كانت مهمّة عمران والد مريم إمامتهم في صلاتهم وصاحب القران²، والذي يفهم من القصّة أنّ والدها قد مات قبل ولادتها، ولذلك كفّلها زكريا عليه السلام.

ودلّت قصة الاقتراع من أجل كفالتها على أنّ إلقاء الأقسام كان في نهر الأردن³، مما يعني قُرب المسافة ما بين بيت المقدس والنهر.

وبعد هذا الكفالة كان الاختلاف في المكان الذي خصّصه زكريا عليه السلام لتقيم فيه مريم، فذكر بعضهم أنّه كان في بيت زكريا عليه السلام⁴، وقال آخرون: هو بيت مستقلّ لها، جعله زكريا عليه السلام داخل المسجد، يُصعد إليه من خلال درج، وكان بنو إسرائيل يُسمّون مساجدهم: محاريب⁵ وذكر البغوي أنّ زكريّا بنى لها بيتًا من أجل الاسترضاع، ولما بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابًا في المسجد، وجعل بابّه في وسطها لا يُرَقى إليها إلّا بالسُّلّم، مثل باب الكعبة، لا يصعد إليها غيره⁶، وذلك بدلالة الآية: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا۟ لَّكَ هٰذَا ۖ﴾ (آل عمران: 137)؛ كون التعجب كان من أجل ذلك، ولو كان عامًّا ويدخله من شاء لما كان هذا التعجب. لكنّ القطع به يحتاج إلى دليل قاطع، لذلك لم يجزم الإمام أحمد به⁷.

ولهذا سيكون الاعتماد على تحديد مكان انتباز مريم مكانا شرقيا، ومكانا قصيا، وكذا إيوائها مع عيسى عليهما السلام إلى الرّوبة ذات القرار والمعين من منطلق أنّ إقامتها كانت في بيت المقدس، سواء كانت في المسجد، أو في بيت زكريا عليه السلام، وليس كما زعم بعضهم - بالاعتماد على كتبهم - أنه كان في الخليل، أو الناصرة⁸.

المبحث الأول: أثر الاختلاف في مكان انتباز مريم بعيسى عليهما السلام في الممرتين

في الترجيح بين المفسرين

ذكرت الآيات في سورة مريم أنّها انتبذت في المرة الأولى مكاناً شرقياً، واختلف العلماء في المكان، وفي سبب ذلك الانتباز، وانتبذت في المرة الثانية مكاناً قصبياً، ومع اتفاقهم على السبب في هذه المرة، إلا أنهم اختلفوا في تحديد المكان، وهذا ما سيتمّ بحثه من خلال الاستعانة بالتفسير الجغرافي.

المطلب الأول: أثر تحديد مكان انتبازها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ في ترجيح سببه

لقد أجمل الرازي ما قيل في سبب انتبازها، بعد أن شرح معنى (انتبذت) من حيث اللغة، بقوله: "مَعْنَاهُ: تَبَاعَدَتْ وَأَنْفَرَدَتْ عَلَى سُرْعَةٍ إِلَى مَكَانٍ يَلِي نَاحِيَةَ الشَّرْقِ"⁹، ثم ذكر خمسة احتمالات للغرض من هذا الانتباز، ونصّ على أنه لا يوجد في اللفظ ما يرجح واحدا منها، وهي: "الأوّل: أَنَّهَا لَمَّا رَأَتْ الْحَيْضَ تَبَاعَدَتْ عَنْ مَكَانِهَا الْمُعْتَادِ لِلْعِبَادَةِ؛ لِكَيْ تَنْتَظِرَ الطُّهْرَ فَتَغْتَسِلَ وَتَعُودَ، فَلَمَّا طَهُرَتْ جَاءَهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا طَلَبَتْ الْخُلُوءَ لِغَلَا تَشْتَغِلَ عَنِ الْعِبَادَةِ. وَالثَّالِثُ: قَعَدَتْ فِي مَشْرِقَةٍ لِلَاغْتِسَالِ مِنَ الْحَيْضِ مُحْتَجِبَةً بِشَيْءٍ يَسْتُرُهَا. وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا كَانَ لَهَا فِي مَنْزِلِ زَوْجِ أُخْتِهَا زَكْرِيَّا مَحْرَابٌ عَلَى حِدَةٍ تَسْكُنُهُ، وَكَانَ زَكْرِيَّا إِذَا خَرَجَ أَعْلَقَ عَلَيْهَا، فَتَمَنَّتْ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَجِدَ خُلُوءًا فِي الْجَبَلِ لِثُقْلِي رَأْسِهَا، فَانْفَرَجَ السَّقْفُ لَهَا فَخَرَجَتْ إِلَى الْمَفَازَةِ، فَجَلَسَتْ فِي الْمَشْرِقَةِ وَرَاءَ الْجَبَلِ فَأَتَاهَا الْمَلَكُ. وَخَامِسُهَا: عَطِشَتْ فَخَرَجَتْ إِلَى الْمَفَازَةِ لِتَسْتَقِي"¹⁰.

وبالنظر في الأوجه الخمسة يمكن استبعاد الوجهين الأخيرين؛ لأنّ اللغة لا تخدمها، كونها لا تتناسب مع جملة {اتخذت}، كون الجبل أو المفازة ليست من اتخاذها، ولا يُعقل أن تكون حجاباً لها من أهلها.

بقي الأوجه الثلاثة الأخرى، حيث قدّم بعض المفسرين بعضها على بعض، وحاول بعضهم الجمع بينها؛ فبينما قصره القاسمي في محاسن التأويل على: تفرّغها للعبادة، شرقي بيت المقدس¹¹، إلا أنّ الملا حويش ذكر الاغتسال والتخلي للعبادة، ورجّح أنّ انتبازها كان للاغتسال فقال: "أي أنها لم تبال بنفسها حيث انفردت وتباعدت {من أهلها}،

ومن الناس أجمع ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾¹² من دار أهلها وقريتها؛ لتغتسل وتتخلى للعبادة، وقيل قعدت في مشرقه لتغتسل من الحيض، ويؤيد هذا القيل معنى قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ ساترا لها؛ لئلا يراها أحد حين اغتسالها -على القول بأن ابتعادها لهذه الغاية-، أو حائطا أو جبلاً -على القول بأن اعتزالها كان لحض العبادة-، ولكن لفظ (الاتخاذ) يؤيد الأول، ويؤكدده قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾¹².

وبناءً على ما تقدّم يترجّح أنّ المكان الشرقيّ هنا، لم يكن بعيداً عن محرابها، أو عن بيت أهلها¹³، والذي يمكن قوله هنا: أنّ ترتيب جمل الآية هكذا: انتبذت مكانا شرقيا من أهلها¹⁴، أي كانت في خلوة شرقيّ أهلها، وعلى هذا يصحّ أن يكون ذلك المكان في ذات المسجد، أو ذات البيت، مع وجود الحجاب الذي جعلته بينها وبينهم، وإذا ترجّح ذلك، فإنّ الأولى بحالها أن يكون هذا الحجاب لأجل العبادة، لا لأجل الاغتسال؛ لأنّه لا يُعقل أنّها كانت قبل ذلك تغتسل أمامهم.

وتظهر فائدة هذا الترجيح من أنّها تحلّ توقّف الدكتور صلاح الخالدي في ردّه على المدعوّ عبد الله الفادي، والذي زعم أنّ زكريا كان يقيم في الخليل، ومريم تقيم في الناصرة شمالي فلسطين، والمسافة بينهما بعيدة، فكيف يكفلها؟ حيث قال الخالدي: "أمّا ما قاله الفادي من أنّ مريم كانت تُقيم في الناصرة، في شمال فلسطين، فهذا مما نتوقّف فيه، فلا نُكذّبُه ولا نُصدّقُه، لعدم ورود دليل عليه عندنا"¹⁵.

المطلب الثاني: أثر تحديد مكان انتبازها ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ في تحديد المكان المتفق مع سياق الآيات

ذكرت الآيات في قصّة مريم عليها السلام أنّها لما حملت بعبسى عليه السلام انتبذت مكاناً قصيًّا، ولم تذكر الأهل كما في الانتباز الأوّل، مما يعني أنّ هذا المكان كان بعيداً عن جميع بني إسرائيل، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾، مما يعني: أنّها خرجت من منطقة بيت المقدس بالكلية.

وقد كثر اختلاف المفسرين في المكان الذي ذهبت إليه مريم وهي حامل، حتى أُلْجِأَها المخاض (الطلق) إلى جذع النخلة، فجمع الرازي منها أربعة أقوال، وترجع تلك الأربعة إلى مكانين: أحدهما: مصر، والآخر: مكانٌ بعيد عن زَكْرِيَّا استحياء، أو بعيدٍ مِنْ قومها خوفاً على ولدها من القتل، من دون تحديد لذلك المكان¹⁶.

لكنَّ غيره من المفسرين حاول الرجوع إلى مصادر أخرى؛ ليعرف ذلك المكان، فمثلاً: ذكر القنوجي أنَّ المكان القصي: وادي بيت لحم، على بعد أربعة أميال من بيت المقدس، وأيده بحديث الإسراء والمعراج، الذي ورد فيه أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: "انزل فصلً، فنزل فصلً، قال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام"¹⁷.

وإذا ما رجَّع الباحث إلى المكان ودلالاته، فإنَّ الذهاب إلى مصر أبعد ما يكون، لأمرين: الأول: أنَّه معتمداً على الإسرائيليات، وأنَّ فيه يوسف النجار، وهذا مخالفٌ لنصِّ الآية الدالِّ على أنَّها كانت وحدها. والآخر: أنَّ عدم البحث عن تحديد المكان لا يخدم في تصوُّر ما جرى لها حتَّى تَمُنَّتْ أنَّها ماتت قبل تلك اللحظة.

وهذا ما وصل إليه الملا حويش باعتماده على الزيارة الميدانيَّة إلى ذلك المكان. يقول الملا حويش: "﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾" ﴿١٢﴾: "عبداً شريفاً رفيحاً سيداً كريماً... وقال بعض المفسرين إن (سريًّا) جدول ماء جار هناك بمحل الولادة، ومعنى: {لا تحزني} على الطعام والشراب مستدلاً بالآية 25 الآتية، وهو بغير محله، ولا طائل تحته، إذَّ يبعد على مثلها أن تحزن على الطعام والشراب.. وإن اطلاق السريِّ على جدول الماء الجاري من حيث اللغة صحيح معروف... إلا أنَّه غير مراد هنا، وأراه غير موافق للواقع أيضاً، إذَّ لا يوجد هناك في بيت لحم نَهْرٌ جارٍ البتَّة، لا في محل الولادة ولا في غيرها، بل يوجد آبار، ولعلها كانت قرية التناول، وكانت عيناً مَعِيناً. أما ما جاء في الآية 50 من سورة المؤمنين في ج 2 وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ فهو غير مراد هنا، بل هو في محلِّ هجرة عيسى عليه السلام مع أمِّه.. إنَّ محلَّ الولادة لا يوجد فيه رُبُوع، وإنَّها الآن ينزل إليها بدرج تحت الأرض¹⁸، وقد شاهده بعيني سنة 1935 في شهر مارس عند زيارتي للقدس الشريف والخليل، وذلك المحل

المبارك. وعلى هذا -والله أعلم- أنه لم يُرد ذلك المعنى بالسريّ، وإنما معناه ما ذكرناه، وهو الموافق للسياق والسباق. وإنّ استعمال السريّ بمعنى: "السيد الكريم" هو من فصيح الكلام، كما أنّ عودَ الضمير في {ناداها} إلى السيد عيسى -كما جرينا عليه- أوفق وأنسب للمعنى من قول: إنه يعود إلى جبريل، لأن نُطْقَهُ حالَ ولادته من مُعْجَزاته التي جاوبها.. يؤيِّده قراءة الأبوين والابنين عاصم والجحدري {مَن} بفتح الميم، أي: الذي تحتها.. ومن قال على هذه القراءة: يراد به جبريل؛ لأنّه كان تحت الرّبوة التي وَلَدَتْ عليها لا دليل له على ذلك، ولا يساعده نظم التنزيل وظاهره، ولا يعدل عن الظاهر إلا لأمر قسريّ، ولا يوجد¹⁹.

والذي يمكن الميل إليه: أنّ المكان القصيّ هو: بيت لحم، سواءً تمّ الاعتماد على أنّ مكان إقامتها بيت المقدس أو غيره، فالحديث النبويّ السابق يدلّ على ذلك، وما تواتر من أنّ ميلاد عيسى عليه السلام كان في بيت لحم، وتحديد المغارة التي بنيت عليها (كنيسة المهد)، وبالقرب منها (كنيسة الحليب)، المقامة على مغارة أيضاً، ينقلون في شأنها: أنّه سقط من مريم عليها السلام قطرات من الحليب أثناء رضاعة عيسى، فابيضّت أرضيّة تلك المغارة.

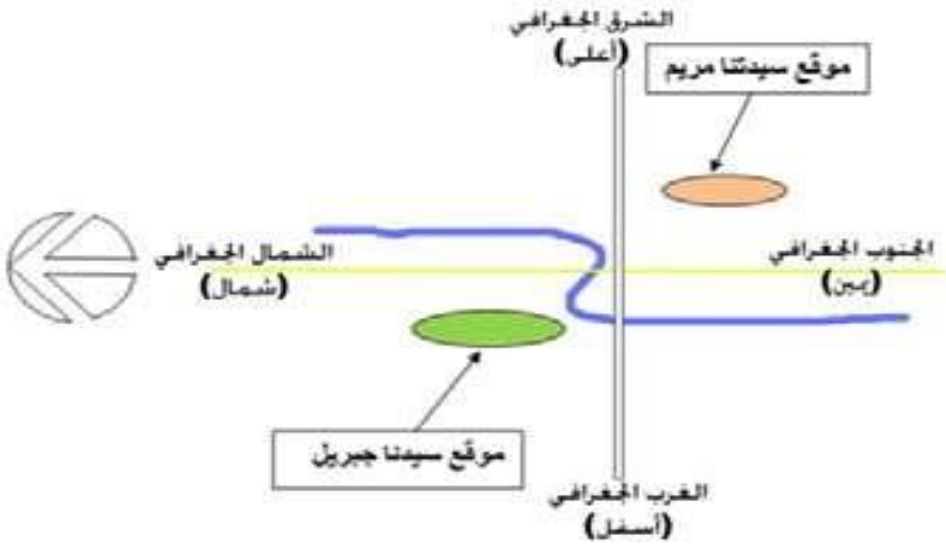
وفي هذا الصدد استعنت بخرائط (جوجل)، الجويّة، وكذا "العالم الافتراضي" في الفيديو على النت؛ لزيارة تلك المنطقة، وأخذ صورة واقعيّة عن الكنيسة وما حولها من ساحة ومسجد، ثم النزول إلى كنيسة الحليب وما جاورها، وأيضاً: الفيديوهات والصور المنشورة على النت²⁰، لأخذ تصوّر واقعيّ لطبيعة تلك المنطقة، ومعرفة ما إذا كان في ذلك المكان جداول ماءٍ، أو زراعة للتخيل؟ ووصلت إلى نوعٍ من القناعة بأنّ موقع كنيسة المهد يصلح لأن يكون المكان القصيّ الذي ذكره القرآن الكريم، وأنّ معنى {سريّاً}: سيّداً، وليس "جدول ماء"، كما رجّح ابن كثير وغيره، إضافة إلى أنّ المنادي {من تحتها} هو عيسى عليه السلام، وليس جبريل عليه السلام.

لكن في المقابل، رجّح عبد الله القاضي²¹، أنّ المقصود بالضمير هو جبريل عليه السلام، معتمداً على ما وصل إليه في بحثه في مفهوم الاتجاهات الجغرافية في القرآن، وهو: أنّ (تحت) تعني جهة الغرب، وأنّ الضمير في (تحتها) للنخلة التي لجأت إليها مريم حين المخاض، وبناء على ذلك ستكون مريم في الشّرق من ذلك المكان، والجدول الصغير غربيّها، وهذا من حكمة الله تعالى بأنّ يكون مولده في الشرق بالنسبة لغيره، وقد كان اعتزالها من أهلها إلى ذاك الاتجاه في القدس.

وحاول جاهداً أن يثبت ذلك من خلال الخرائط التالية، بحيث زعم أنّ مكان الولادة في المكان الذي عليه كنيسة المهدي، ومكان جبريل عليه السلام في التلّة المقابلة، وبينهما الوادي. وهذه مسافة طويلة، وغير معقولة من حيث النظر إلى سياق القصّة، فالذي دلّ عليه السياق أنّ ظهور جبريل حين بشرها بعيسى كان من مسافة قريبة جداً، فهل يصحّ بعد ذلك أن يناديه من ذلك المكان المنخفض البعيد في الوقت الذي هي فيه بأمرّ الحاجة إلى مَنْ يساعدها؟

وفيما يلي الرسم الكروكي الذي حاول فيه تحديد موقع جبريل ومريم عليهما السلام، ثمّ حاول إسقاط ذلك على خريطة (جوجل) لذلك المكان، زاعماً في الخطّ الأزرق أنّه التّهر الصغير الموجود هناك، بناءً على أنّ {تحتك سرّاً} لا يعقل أن يكون تحتها مباشرة - كما هو متصوّر في أنهار الجنة التي تجري تحت أشجارها - بل هو الجهة الغربية القريبة منها.

أ: رسم كروكي لموقع جبريل تحت (غرب) بالنسبة للسيدة مريم



ب: خريطة جوجل إيرث لموقع جبريل بالنسبة لمريم



ومن باب توفية البحث، أُقَدِّم هذه المعلومات التي ترجَّح أنَّ المكان القصبيّ هو بيت لحم، وأنَّ المنادي من تحتها هو عيسى عليه السلام، وأنَّه المقصود بـ {سريّاً}، وليس جدول ماء، كونه لم يأتِ في التاريخ أنَّ نهرًا، أو جدولًا، أو نبع ماء قد ظهر في تلك المنطقة بعد أن لم يكن.

سكن الكنعانيون المدينة سنة 2000 ق.م، ويروى أن النبي يعقوب جاء إلى هذه المدينة وهو في طريقه إلى الخليل، وماتت زوجته راحيل في مكان قريب من بيت لحم يعرف اليوم بقبة راحيل وفي بيت لحم ولد الملك داوود. وتوالت عليها الأحداث، وكانت في العصور القديمة قرية متواضعة تكتنفها الأودية العميقة من جهاتها الثلاث. وكانت خصبة الموقع تنتشر فيها حقول القمح. وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد - ظهرت في مخطوطات تل العمارنة منطقة اسمها بيت لحم وذلك عند الحديث عن أنباء الحروب التي قامت جنوب القدس. من المحتمل أن أول استيطان بشري وقع فيها عندما حطت بعض جماعات من البدو حول النبع الواقع على بعد 200 متر من كنيسة الميلاد²².

وهذه المعلومة تكشف لنا سبب مجيء مريم عليها السلام إلى هذه المنطقة، إذ هي منطقة مأهولة بالسكان؛ لما فيها من مقومات العيش، ولما فيها من تحضّر، بحيث كان أهلها يقيّدون أسماء المواليد في السجلات²³، وكان خروجها من بلدها قبيل الولادة على حمار²⁴، ولما جاءها المخاض لجأت إلى جذع نخلة كان على باب الغار الذي أقيمت عليه الكنيسة فيما بعد.

وهذا يعني: أنّ الطريق التي تصل بين البلدات المحيطة بالقدس كانت معهودة، ونحن في بلاد الشام ندرك أنّ أكثر الطرق الحديثة ما هي إلا صورة محدّثة عن الطرق القديمة، والذين لهم عهد بالتنقّل ما بين القدس وبيت لحم يسلكون الطريق المعروف ب(طريق النار)، الذي يمرّ بسفوح التلال ويقطع الأودية، حتى يصل جنوب مدينة القدس بشمال بيت لحم. ولتقريب الصورة أرفق بعض الصور الحديثة التي تمّ أخذها من النت، مع عنوانٍ للصورة.

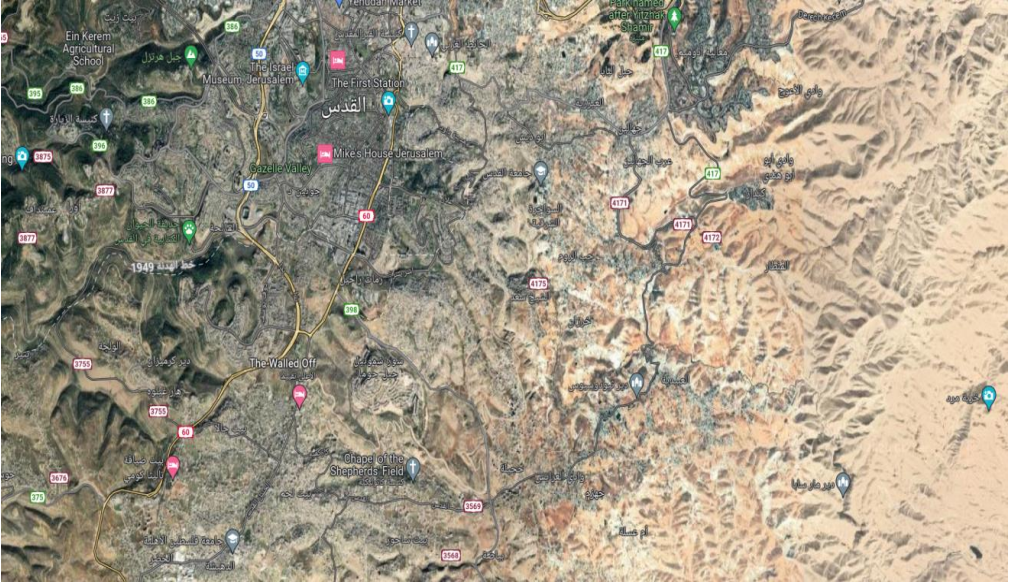
أ: صورة جوية لمدينة بيت لحم



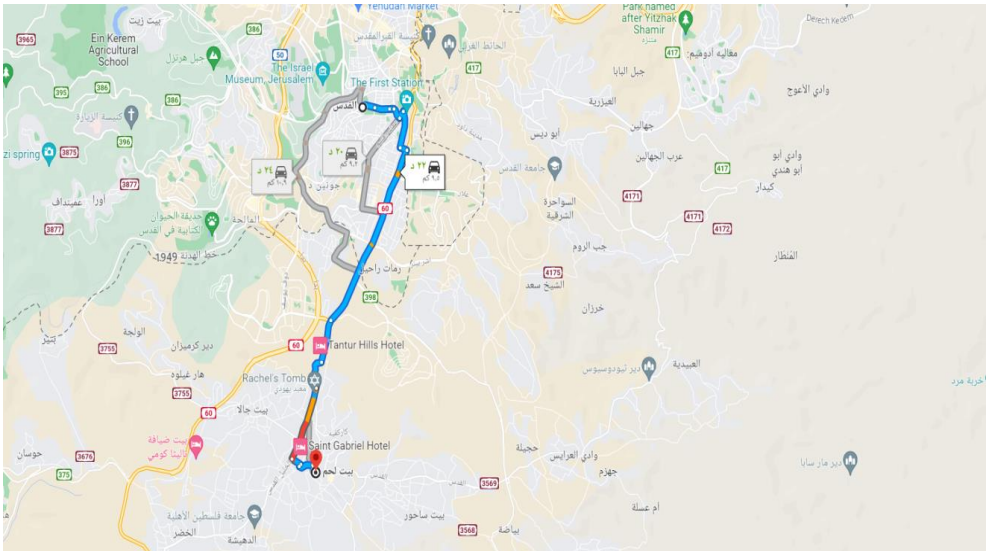
ب: صورة لتلال بيت لحم من الجهة الشمالية (جهة القدس)



ج: صورة لتضاريس المنطقة من القدس حتى بيت لحم، ومن المعلومات المتوفرة على النت: أنَّ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 775 متر ، أي أنَّها أعلى من مدينة القدس - التي تبعد عنها ما يقارب 10 كم- بحوالي 30 مترا .



د: صورة للطريق من القدس إلى بيت لحم، وطوله 9.5 كم، ويستغرق 23 دقيقة بالسيارة، ويوجد فيديو للطريق من أوله إلى آخره، وتظهر فيه تضاريس المنطقة بصورتها الحيّة هذه الأيام²⁵.



أ: صورة لكنيسة المهد من الخارج تظهر فيها الساحة والمتحف ومسجد عمر بن الخطاب²⁶



هذه صورة لمدينة بيت لحم تظهر فيها منارة اسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبرج كنيسة المهد



ب: صورة من داخل الكنيسة يظهر فيها مكان الكهف على يمين الصورة بعد نزول الدرج



© Editions Gelbart

المركز الإقليمي العربي
للتراث العالمي
Arab Regional Centre for
World Heritage (ARC-WH)

نشر

المبحث الثاني: أثر معرفة الربوة في الترجيح بين أقوال المفسرين

جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: 50) في سياق الحديث عن دلائل الإيمان، وعواقب الخذلان، وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة، وفي معنى القرار والمعين، ويمكن إجمال ما ذكروه في النقاط التالية:

أولاً: منهم من جعل الوصفين لذات الربوة، أي أنّ الربوة فيها القرار، وفيها المعين، ومنهم من فرق بينهما.

ثانياً: منهم من فسّر القرار بالاستقرار، والمعين بالماء، ومنهم من فسّرها بغير هذا.

ثالثاً: منهم من جعل هذه الآية تابعة للآيات التي ذكرت ميلاد عيسى عليه السلام، بمعنى: أنّ الآية تتحدث عن محلّ الولادة بعد أن أُنِعَ جذع النخلة، وجرى تحتها جدول الماء - السريّ -.

رابعاً: منهم من جعلها حديثاً عن هجرة عيسى عليه السلام وأمه، سواءً كانت بعد الولادة مباشرة، أو بعد أن همّ اليهود بقتله.

ويمكن الوقوف على جلّ هذه الأقوال أو أكثرها عند الطبري، وذكر غيره من المفسرين بعضها وأعرضوا عن بعض، ولأجل الاختصار سأعرض بعض الآراء التي اعتمدت الموقع الجغرافي للترجيح في المطالب التالية:

المطلب الأول: الرأي الذي يرى أنّ المراد بالربوة غوطة دمشق

جرت عادة المفسرين لهذه الآية بتعريف الربوة من حيث اللغة، ومن بعد ذلك يبدأ البعض في تعداد الروايات التي تحدّد المكان، أن النصّ على بعض الآراء، ولعلّ ابن العربي قد أجمل ما ذكره الطبري من أقوال بقوله التالي: "في تعيين هذه الربوة ستة أقوال: الأول: أنّها الرملة؛ وهي فلسطين؛ قاله أبو هريرة ورواه - أي عن النبي ﷺ. الثاني: قال قتادة: هي بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. الثالث: أنّها دمشق؛ قاله ابن

المُسَيَّب، وَرَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ وَأَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ. الرَّابِعُ: أَنَّهَا مِصْرُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ. وَلَيْسَ الرُّبَا إِلَّا بِمِصْرَ، وَالْمَاءُ يُرْسَلُ فَيَكُونُ الرُّبَا عَلَيْهَا الْقُرَى، وَلَوْلَا ذَلِكَ غَرِقَتْ. الْخَامِسُ: أَنَّهُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ؛ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ. السَّادِسُ: أَنَّهَا الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

قَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ الْأَقْوَالُ مِنْهَا مَا تُفَسِّرُ لُغَةً، وَمِنْهَا مَا تُفَسِّرُ نَقْلًا؛ فَأَمَّا الَّتِي تُفَسِّرُ لُغَةً فَكُلُّ أَحَدٍ يَشْتَرِكُ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَرِكَةٌ الْمَدْرَكِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا مَا يُفَسِّرُ مِنْهَا نَقْلًا فَمُفْتَقِرٌ إِلَى سَنَدٍ صَحِيحٍ يَبْلُغُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ... وَالَّذِي شَاهَدْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ، وَرَأَيْتُهُمْ يُعَيِّنُونَهَا تَعْيِينَ تَوَاتُرٍ: دِمَشْقُ، فَفِي سَفْحِ الْجَبَلِ فِي غَرْبِي دِمَشْقُ مَائِلًا إِلَى جَوْفِهَا مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ تَتَشَقَّقُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ الْعَظِيمَةُ، وَفِيهَا الْفَوَاكِهُ الْبَدِيعَةُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، وَقَدْ أُتُّخِذَ بِهَا مَسْجِدٌ يُفَصِّدُ إِلَيْهِ، وَيُتَعَبَّدُ فِيهِ، أَمَّا أَنَّهُ قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مَوْلِدَ عِيسَى ﷺ كَانَ بِبَيْتِ لَحْمٍ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَفِيهِ رَأَيْتُ الْجِدْعَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا خَرَجَتْ بَابِئِهَا اخْتَلَفَتْ الرِّوَاةُ، هَلْ أَخَذَتْ بِهِ غَرْبًا إِلَى مِصْرَ؟ أَمْ أَخَذَتْ بِهِ شَرْقًا إِلَى دِمَشْقَ؟ فَالْلَّهُ أَعْلَمُ" ²⁷.

وقد اعتمد الثعلبي أيضًا على صفة الغوطة لترجيح قول ابن المسيَّب: "هي الغوطة بدمشق" معللاً ذلك بقوله: "لأنَّ صفة الغوطة أنَّها ذات قرار ومعين على الكمال" ²⁸.

وإذا ما رجعنا إلى الغوطة إلى عهد قريب، فإننا نرى أنَّ الغوطة: إحدى جنات الأرض، من حيث الخضرة والمياه، سواءً ما كان فيها على أصل الخلقة، وما كان من فعل الإنسان، تحيط بها الجبال التي تنبع منها الأنهار من كلِّ الجهات، وتغذي بساكنيها مجموعة من الأنهار الصغيرة من فروع نهر بردى، وشبكة من قنوات الري، وفي بساكنيها أنواع كثيرة جدًا من الفاكهة وأشجار الزيتون، وتنبت فيها كل أنواع الخضروات والزهور، مما يجعلها حقيقة بوصف أنَّها {ذات قرار ومعين}، وقد طالعت بعض الفيديوهات والصور، وبعض الكتب المختصة بها، ومن السهل رؤية ذلك على النت، فلذلك اقتصرنا على بعض الصور التي نخدم البحث في الترجيح بين أقوال المفسرين.

وبهذا يظهر: أنَّ الترجيح كان بالاعتماد على وصف الغوطة بعد اعتماد الرواية التي ذكرت ذلك، ولو فرضتُ جدلاً أنَّ أحدًا ادَّعى مكانًا من أرض الله الواسعة له مثل هذه الأوصاف، فمن الذي يملك ردّه؟ إذا كان الاعتماد على الرؤية الآتية للموقع؟ دون الرجوع إليه عند حدوث هذه القصة، أي: من ميلاد عيسى حتى رفعه عليه السلام.

المطلب الثاني: الرأي الذي يرى أنَّ المراد بالربوة (مصر)

رَجَّح الخطيب أنَّ المكان هو مصر، معتمدًا كذلك على الجغرافيا، والروايات التاريخية، يقول الخطيب: " «وقد اختلف في الربوة- وهى المكان المرتفع من الأرض- التي آوى الله سبحانه وتعالى، إليها ابن مريم وأمّه.. والراجح عندنا أنها مصر.. وذلك حين أوحى الله إلى مريم أن تهرب بوليدها إلى مصر، خوفاً عليه من الحاكم الروماني، الذي طلبه ليقتله، حين سمع بمولده.. كما يحدث بذلك إنجيل متى، وتسمية مصر {رَبْوَةٌ} لأنها بالنسبة لأرض فلسطين أشبه بالربوة المشرفة على الوادي، وذلك لأنه كلاً من مصر وفلسطين في النصف الشمالي من الكرة الأرضية.. وأن الأرض في هذا النصف تأخذ في الانحدار من الجنوب إلى الشمال، أي من خط الاستواء إلى القطب الشمالي، ولهذا تجرى الأنهار من الجنوب إلى الشمال في هذا النصف من الكرة.. ولما كانت مصر تقع إلى الجنوب من أرض فلسطين، فإنها- لهذا- أعلى مكاناً منها، بحيث لو نظر الناظر إليهما من أفق أعلى لرأى مصر مشرفة على فلسطين كأنها ربوة عالية، والقرار: المكان الذي يستقرّ فيه، حيث تتوفر أسباب الحياة والاستقرار، والمعين: الماء الذي يفيض من العيون.. وهذا الوصف جدير أن يكون لمصر" ³¹.

وممّن رأى هذا الرأي الملا حویش بقوله: " قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (وَأَوَيْنَاهُمَا) إلخ يعني: لمصر، لأنها خزائن الأرض كلّها، وسلطانها سلطان الأرضين كلّها، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام (اجعلي على خزائن الأرض) الآية 55 من سوره المازة، ففعل، فأغاث الناس بمصر وخزائنها. ولم يذكر الله تعالى مدينة بعينها بمدح إلا مكة ومصر، وهذا هو الصحيح، والله أعلم... {ذاتِ قَرَارٍ} من الأرض {وَمَعِينٍ} ماء جار هو نهر النيل" ³².

ويقول دروزة: "وهي أقوال قائمة على التخمين... فمن المحتمل أن يكون مكان الربوة هو مصر، حيث يجري فيها نهرٌ لا ينبض، وحيث كانت ذات أرض مُخصبة وزراعة مُزدهرة. والله أعلم"³³.

والذي يمكن استخلاصه من هذه الأقوال أيضًا: أنها اعتمدت على الروايات الإسرائيلية من حيث المبدأ، ثم راحت تُكثف صورة (مصر) بما يتناسب مع الآية، ولا أدري أين العيون التي ذكرها الخطيب، وما وجه الدلالة بقصة يوسف عليه السلام على كون (مصر) بهذا الوصف!

المطلب الثالث: الرأي الذي يرى أنّ المراد بالربوة (الرملة)

لم يظهر في أقوال المفسرين البحث في القول الأول الذي ذكره ابن العربي، وهو أنّ الربوة هي: الرملة، ولهذا سأقوم بدراسة منطقة الرملة، لمعرفة ما إذا كانت تزامم هذه الأماكن في القوة من حيث الوصف الجغرافي الذي يتماهى مع سياق القصة.

نقل ابن عساكر تفسير سعيد بن جبير لقوله تعالى: {ربوة ذات قرار ومعين} بأنّ "الربوة: النَّشْرُ من الأرض، والقرّار: المستوي والظاهر"، ثم قال: وهذا التفسير موجود في صفة ربوة دمشق، فلا يمتنع أن يكون هو الحق. وقيل: إنّ الربوة: الرملة بناءً على رواية البهزي عن رسول الله ﷺ: "الرملة هي الربوة، وذلك أنها تسيل مُعَرَّبة ومُشَرَّقة"³⁴.

وذكر مجير الدين العليمي، من أوصاف مدينة الرملة ما يلي: "مَدِينَةُ الرَّمْلَةِ وَهِيَ وَاسِطَةُ بِلَدِ فِلَسْطِينَ، فَإِنَّهَا فِي أَرْضٍ سَهْلَةٍ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالنَّخْلِ، وَحَوْلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَزَارِعِ وَالْمَغَارِسِ، وَفِيهَا أَنْوَاعُ الْقَوَاقِحِ، وَظَاهِرُهَا حَسَنُ الْمَنْظَرِ... وَكَانَتْ فِي الزَّمَنِ السَّالِفِ فِي عَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَدِينَةً عَظِيمَةً الْبِنَاءِ مَتَسَعَةً، وَكَانَ جَالُوتُ أَحَدِ جَبَابِرَةِ الْكَنْعَانِيِّينَ مُلْكُهُ بِجَانِبِ فِلَسْطِينَ... وَتَقْدَمُ أَنَّ سَيِّدَنَا يُؤُسُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَامَ بِالرَّمْلَةِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى... وَأَمَّا فِي عَصْرِنَا فَلَمْ يَبْقَ أَثَرٌ لِّلْكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي بِالرَّمْلَةِ، وَقَدْ زَالَتْ أَسْوَاقُهَا وَأَسْوَاقُهَا الْقَدِيمَةُ لَاسْتِيلَاءِ الْإِفْرَنْجِ عَلَيْهَا نَحْوَ مِائَةِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثُهَا بَلْ وَلَا رُبْعُهَا"³⁵.

وبعد هذا العصر نرى الكتابات عن مدينة الرملة تكاد تتفق على أمرين:

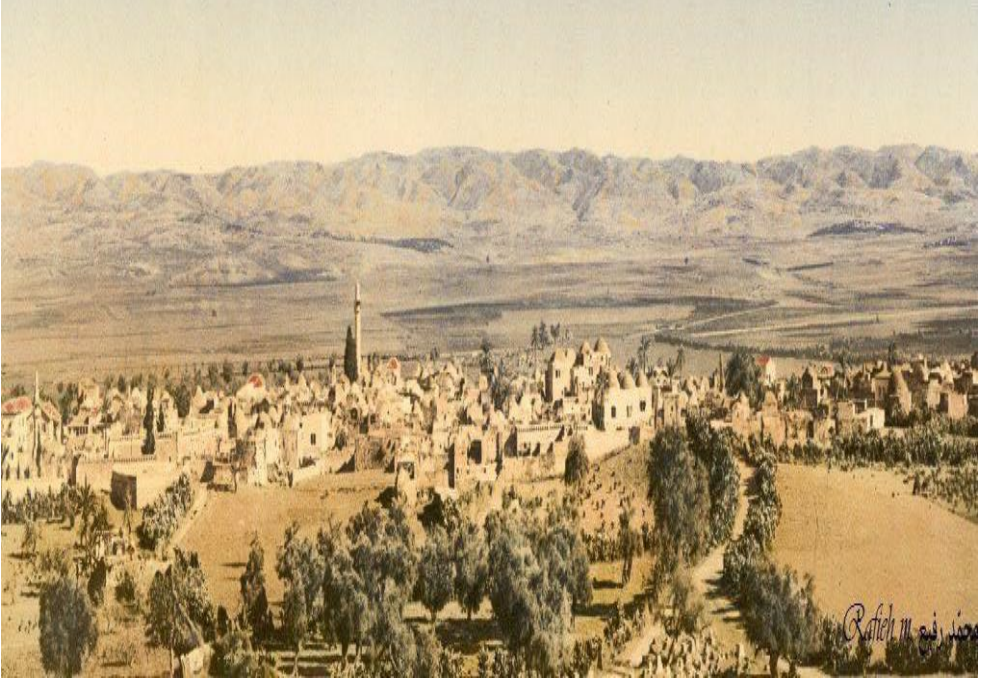
الأول: توصيف الموقع، وأنّ الآثار التي فيها تشير إلى أنّ بناءها كان على يد الأمويين.

ثانيًا: أنّ المدينة تقع على منطقة مرتفعة، كانت رملية في الأصل، أي: أنّها ربوة، وتحيط بها الجبال. وهي قريبة من مدينة اللُدّ، وتمرّ بها الطرق والسكك الحديدية، وقد ساعد موقعها على ربط شمال فلسطين بجنوبها وشرقها بغربها.. مما جعل المدينة تواصل خطوات النمو والازدهار، حتى إنّها أصبحت في مقدم المدن الفلسطينية، بل عاصمة الإقليم الفلسطيني برمته.

ذكر المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم): أنّ "الرّملة قصبة فلسطين، بهيّة، حسنة البناء خفيفة الماء، مرّية، واسعة الفواكه، جامعة الأضداد... ليس في الإسلام أبهى من جامعها، ولا أحسن وأطيب من حوّارها، ولا أبرك من كورتها ولا ألدّ من فواكهها... قد خطّت في السهل وقربت من الجبل والبحر، وجمعت التين والنخل، وأنبتت الزروع على البعل وحوّت الخيرات والفضل، غير أنّها في الشتاء جزيرة من الوحل، وفي الصيف ذرية من الرمل، لا ماء يجري ولا خضر، ولا طين جيّد ولا ثلج، كثيرة البراغيث، عميقة الآبار، مالحة، وماء المطر في جباب مقفلة، فالفقير عطشان، والغريب حيران، وفي الحماّم ديوان.." ³⁶ ويقول:

«وماء الرملة مري» ³⁷ وفيما يلي صورتان للرملة:

أ: لوحة مدينة الرملة: فلسطين 1890، وهي في الأصل: صورة بالأبيض والأسود، تمت معالجتها بطرق متطورة بحيث يصبح أصل الصورة ملوناً، وهي مأخوذة من برج الأربعين شهيداً
- كما هو على النت -



ب: صورة حديثة للرملة مأخوذة من (النت)



ج: صورة من ربيع 2011³⁸



ظهر مما تقدّم وجهات النظر في الترجيح، فكلّ ينظر إلى الربوة بمعناها اللغوي³⁹، ووصفها القرآنيّ بناءً على المكان الذي سمع بخبره، أو عاينه ببصره، ولو كان للباحث دورٌ في تقديم بعض الأقوال على بعض لاختار غوطة دمشق؛ لأنّ اجتماع الأوصاف بكونها: ربوة، وذات قرار، وذات معين، وأُتّما على مدار السنة كذلك، لا يوجد إلا في الغوطة، وكما هو معلوم فإنّ مصر بلدٌ مترامي الأطراف، خاصّة إذا كان المقصود بها ما حول نهر النيل، وحتى لو تخصصت بمنطقة دلتا النيل، فلا يصلح أن يذهب الذهنُ إليه، ولا يمكن أن تكون الرواية الإسرائيلية التي اعتمد عليها⁴⁰ كفيّلة بالترجيح، إذ لم يعهد الناس هناك مكانًا محدّدًا، كما سبق في تحديده في دمشق.

ويمكن الاستئناس لهذا التقديم بقصّة أصحاب القرية في سورة يس، وبحديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك في المطلب التالي.

المطلب الرابع: الرأي الذي يعتمد الرواية وسياق القصة في التفسير الجغرافي

في الوقت الذي رجّح فيه ابن كثير وآخرون أنّ هذه الربوة هي بيت لحم، وأنّ الإيواء المذكور كان لحظة الولادة، بدليل: أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، كما أنّ طبيعة المنطقة، وما فيها من الثمار، وكذلك: النهر الذي أجراه الله لمريم بعد الولادة يخدم هذا، رأيت أنّ أعرج على قضيتين ذكرتا في قصّة عيسى عليه السلام، ومن الممكن إدخالهما في الترجيح بين الأقوال فيما يتعلّق بالتفسير الجغرافي، وذلك فيمن خلال دراسة القرية التي وصل إليها رسل عيسى عليه السلام، وكذلك حديث نزوله في آخر الزمان، وفق الآتي:

أولاً: أثر معرفة القرية التي جاءها المرسلون من عيسى عليه السلام في معرفة مكان الربوة

اختلف المفسرون في القرية التي جاءها المرسلون؛ وفي الذي أرسلهم، فقال بعضهم: هي أنطاكية، وهي المعروفة حتى اليوم في شمال سوريا قرب البحر المتوسط، ولكنها ليست على الشاطئ، ورأى ابن كثير وبعض المفسرين: أنّ تبقى على إطلاقها دون تعيين⁴¹، وإذا تعيّن اسمها بأنطاكية، فيجب صرفه إلى الاشتراك في الاسم فحسب؛ لأنّ الله تعالى ذكر أنّه قد أهلكها عن آخرها، وهذا لم يحدث في تاريخ أنطاكية الحالية عبر التاريخ⁴²، وقال بعضهم: الله تعالى أرسلهم، واستدلّ على ذلك بسياق الآيات، وبأنّ عيسى عليه السلام نبيّ إلى بني إسرائيل فحسب، وقال بعضهم: هم رسل عيسى عليه السلام، وقول الرسل: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (يس: 16) لا يدلّ على أنّهم مرسلون من الله مباشرة، بل هم وكلاء عن عيسى عليه السلام، وبعثه لهم لا يكون إلا بإذن من الله، وكذلك الأمر، يقال في توجيه من قال أنّه هؤلاء الثلاثة من (الحواريين) ذهبوا بعد رفع عيسى عليه السلام يدعون إلى التوحيد بالنبابة عنه، وتنفيذاً لوصيته عليه السلام⁴³.

ومحلّ الاستشهاد في هذه القصّة - على فرض أنّ هؤلاء الرسل من قبل عيسى عليه السلام - أنّ عيسى عليه السلام قد بعث الحواريين من مكان إقامته بعد النجاة من القتل، حيث ألقي الله تعالى شبه عيسى على الذي دلّ عليه، فقتلوه وصلبوه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: 157) ...، ورفع عيسى عليه السلام من بينهم

تكون رسالته هناك قد انتهت، لذلك، انتقل من بيت المقدس مع أمه، وهذا كذلك مبناه على روايات تاريخية، كون الآية لا تذكر أنّ الله تعالى آواهما إلى الربوة بعد إرساله والتأمر عليه، وإن كان سياق القصص يجمع ما بين مقدّمات القصص ونهايتها.

فمن هنا كان البحث عن مرجح آخر، وهو: حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

ثانيًا: أثر حديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان في تحديد مكان الربوة

روي حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ضمن علامات الساعة الكبرى، وقد رواه الإمام مسلم بطوله، حيث يبدأ بذكر الدجال، وما يجري على يديه، حتى ينتهي بقتل الشاب وإحيائه، وفيه: "فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ"⁴⁴.

وقد ذكر النووي في شرحه للحديث: "وَهَذِهِ الْمَنَارَةُ مَوْجُودَةٌ الْيَوْمَ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ.. وَأَمَّا الْمَهْرُودَتَانِ.. وَمَعْنَاهُ لَا يَسْ مَهْرُودَتَيْنِ أَيُّ تَوْبَتَيْنِ مَصْبُوعَتَيْنِ بَوْرَسٍ ثُمَّ بَرْعَقَرَانِ وَقِيلَ هُمَا شَقَّتَانِ وَالشَّقَّةُ نِصْفُ الْمَلَاءَةِ"⁴⁵، ويقول السيوطي عن هذه المنارة: "قال الحافظ عماد الدين بن كثير: قد جدّد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، قال: ولعلّ هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيّض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى لينزل عيسى عليها"⁴⁶.

صورة للمنارة البيضاء شرقي دمشق في هذا الوقت.



الشاهد في هذا الحديث بطوله: أنّه يمكن الاستعانة به على: أنّ نزول عيسى عليه السلام سيكون في المكان الذي رفعه الله منه، أو أنّ يكون قتلُه للدجال في باب "اللّد" دلالة على أنّ الله تعالى رفعه من ذلك المكان، و" اللّد" هي أقرب منطقة إلى بيت لحم التي ولد فيها عيسى عليه السلام.

وهذه الخارطة يمكن تصوّر المسافات بين هذه الأماكن المذكورة آنفًا:

صورة فيها موقع القدس وبيت لحم والرملة والدّ، ودمشق وأنطاكية، وجزء من مصر، من موقع الخرائط على قوقل⁴⁷:



ومن كلّ ما تقدّم يظهر أنّ جميع الأماكن التي ذكرها المفسّرون لقوله تعالى: ﴿وَأَوَيَّنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ تكاد تنطبق عليها الآية، إلا أنّ أقربها للقبول هو: ما جاء في تفسير ابن كثير، حيث نقل معنى الربوة والقرار والمعين، فقال: "الرَّبْوَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِيهِ النَّبَاتُ. {ذَاتِ قَرَارٍ} يَقُولُ: ذَاتُ حِصْبٍ {وَمَعِينٍ} يَعْنِي: مَاءً ظَاهِرًا، ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِلَافَ الْمَفْسِّرِينَ فِي مَكَانِ هَذِهِ الرَّبْوَةِ فِي أَيْ أَرْضِ اللَّهِ هِيَ؟ ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: هِيَ مِصْرَ، وَمَنْ قَالَ: هِيَ دِمَشْقَ، وَغَوِطْتُهَا، وَمَنْ قَالَ: هِيَ الرَّمْلَةُ مِنْ فِلَسْطِينَ، مُعْتَمِدًا عَلَى حَدِيثٍ مَرَّةَ الْبَهْزِيِّ، وَقَالَ عَنْهُ: وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

ثم خلاص إلى القول: "وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾ (مريم: 24)، ... فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يُفسر بعضه بعضاً. وهو أولى ما يُفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار⁴⁸.

وهذا يعني: أن الدائرة الجغرافية التي كان فيها عيسى عليه السلام لم تتعد بيت المقدس وبيت لحم، وهي بعض الأرض المباركة، التي أورثها الله تعالى عباده الصالحين، وجعلها مأوى لخليله إبراهيم، ومن شاء من ذريته المقربين، وحرّمها على المكابرين المعاندين الذين كانوا مع كليمة موسى عليه السلام، وفيها من الرّيا والبساتين، والمياه العذبة، والعيون، والآبار ما يصلح لأن تفسر به الآيات الكريمة، من حيث الجغرافية، واللغة، وسياق الآيات، دون تعارض أو اختلاف. والله تعالى أعلم.

الخاتمة:

وفيها النتائج والتوصيات

خلاص البحث في أثر التفسير الجغرافي للقرآن الكريم في الترجيح بين أقوال المفسرين في قصة عيسى عليه السلام إلى النتائج التالية:

- 1: أن الاهتمام بالجغرافيا المتصلة بأحداث القصص القرآني علمٌ قديم، لم يتم استغلاله على الوجه الأكمل، كونه يعتمد من حيث المبدأ على الرواية، ثم المشاهدات الشخصية.
- 2: أن استخدام الخرائط الجوية، والصور الحية في تحديد الموقع الجغرافي، ومن ثم فهم ادلالة الجمل القرآنية بما يتوافق مع دلالة اللغة والسياق، يُعدّ رافداً جديداً من روافد التفسير المقارن، وأصلاً من أصول الترجيح بين أقوال المفسرين، لم تحفل به الدراسات المختصة بأصول التفسير.
- 3: أن إقامة زكريّا عليه السلام، وبنائه الخراب لمريم عليه السلام كان في بيت المقدس.
- 4: أن انتباز مريم عليه السلام في المكان الشرقي من بيت المقدس كان لأجل التفرغ للعبادة.
- 5: أن انتباز مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام في الأيام الأخيرة من الحمل كان في بيت لحم.

6: دلّت جغرافيّة مكان ولادة عيسى عليه السلام على أنّ المنادي لها من تحتها هو عيسى، وأنّ معنى (السّريّ) هو: السيد، وليس جدول الماء.

7: دلت الجغرافيا للمناطق التي قيل إنّها {الربوة ذات قرارٍ ومعين} على أنّ أولى الأقوال هو أن تكون بيت لحم.

8: دلّت الدراسة الجغرافية والتاريخيّة على أنّ قصة أصحاب القرية في سورة (يس) لا صلة لها بأنطاكية الحالية التي ذهب إليها رسل عيسى عليه السلام، وكذلك حديث نزوله في آخر الزمان إلى دمشق، وتوجّهه خلف الدجال إلى اللّد لا يخدم في الدلالة على أنّ (الربوة) هي غوطة دمشق.

التوصيات:

يوصي هذا البحث بعمل دراسات تعتمد على دراسة الجغرافيا في القرآن الكريم، على نحوٍ يضيف إلى قطع الخلاف بين المفسرين في كثير من الدلالات القرآنية المعتمدة على الجغرافيا، خاصّة في القصص القرآني، ويمكن من حيث المبدأ الاعتماد على ما ذكره سليمان الندوي (1302-1373هـ) في كتاب: تاريخ أرض القرآن، الذي أشير إليه في الدراسات السابقة، ومن ثمّ الانطلاق إلى كتب التفسير المطوّلة لحصر مواطن الخلاف، وعمل الدراسة المقارنة عليها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

¹ الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، 1967م)، ط2، 1/ 578.

² الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ط1، 6/ 350.

³ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ)، المذهب في اختصار السنن الكبرى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، (الرياض: دار الوطن للنشر، 2001م)، ط1، 8/ 4312؛ العيني، محمود بن أحمد (ت:855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ودار الفكر، 1431هـ)، د.ط، 13/ 262.

⁴ الطبري، جامع البيان، 350/6؛ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس التميمي (ت:327هـ)، تفسير القرآن العظيم، (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ)، ط3، 2/ 963.

⁵ الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (ت:427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (جدة: دار التفسير، 2015م)، ط1، 8/ 268؛ الواحدي، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت:468هـ)، في تفاسيره الثلاثة: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1415هـ)، ط1، ص. 208، التفسير البسيط، (الرياض، جامعة الإمام

- محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ، ط1، 206/5؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، ط1، 432/1.
- ⁶ البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميره، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997م)، ط4، 32/2.
- ⁷ ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 240هـ)، الجامع لعلوم الإمام أحمد - التفسير وعلوم القرآن، (الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 2009م)، ط1، 446/13.
- ⁸ الخالدي، صلاح عبد الفتاح (ت: 2022م)، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، (دمشق: دار القلم، 2007م)، ط1، ص: 84-85.
- ⁹ الرازي، محمد بن عمر التيمي (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، ط3، 520/21.
- ¹⁰ الرازي، مفاتيح الغيب، 521/21، وانظر: النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (ت: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ)، ط1، 467/4؛ المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، (الباكستان: مكتبة الرشيدية، 1412هـ)، ط1، 87/6؛ الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 349/8.
- ¹¹ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ)، ط1، 88/7.
- ¹² الملا حويش، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: 1398هـ)، بيان المعاني، (دمشق: مطر. الترقى، 1965م)، ط1، 144/2؛ وانظر: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي (ت: 1441هـ)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (بيروت: دار طوق النجاة، 2001م)، ط1، 101/17.
- ¹³ انظر: الفراء، يحيى بن زياد الديلمي (ت: 207هـ)، معاني القرآن، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، 1431هـ)، ط1، 163/2؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984)، ط1، ص: 246؛ ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 9/4؛ الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، تحقيق: إياد محمد الغوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2013م)، ط1، 586/9؛ الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير للشوكاني، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ)، ط1، 387/3.
- ¹⁴ انظر: الدرة، محمد علي طه، إعراب القرآن وبيانه، (دمشق: دار ابن كثير، 2009م)، 77/6؛ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ط1، 79/16.
- ¹⁵ الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، ص: 86.
- ¹⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 21، ص: 524-525، ومثله قال النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، 479/4؛ الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان، 102/17.
- ¹⁷ العليمي، مجير الدين بن محمد المقدسي (ت: 927هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، (قطر: دار النوادر، 2009م)، ط1، 244/4، وانظر: المظهري، التفسير المظهري، 89/6؛ الملا حويش، بيان المعاني، 147/2؛ الضياء الأعظمي، محمد عبد الله، الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2016م)، ط1، 108/8.
- ¹⁸ كلامه صحيح بالنسبة لخل الولادة، لكنه غير دقيق بالنظر إلى المكان الذي توجد فيه تلك المغارة، وكما هو معلوم من أنّ الكنيسة توجد على ربوة، والمغارة في تحت سفح الربوة بقليل، وهذا يؤكد مسألة أنّ المكان قصي كما تصفه الآية.

¹⁹ الملا حويش، بيان المعاني، 147/2-148، باختصار.

²⁰ رابط فيه فيديو قصير عن الكنيسة: <https://youtu.be/n-Kc7BNpSa8>

وهذا رابط آخر لفديو أطول: <https://youtu.be/ChD8JbNRCZo>

²¹ القاضي، عبد الله حسين، مفهوم الاتجاهات الجغرافية في القرآن الكريم: تطبيقات ميدانية لأحداث ورد ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبوية، (الرياض، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: علوم تصميم البيئة، م7، ص. 51-102 (2013م/1434هـ) ص93-95)

²² عن موسوعة الويكيبيديا، بيت لحم في العهد الكنعاني

²³ ابن العربي، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت: 685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (بيروت: دار الشرق، 1992م)، ط3، ص: 65.

²⁴ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت: 808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (بيروت: دار الفكر، 1981م)، ط1، 172/2.

²⁵ رابط لفديو يعرض طريق وادي النار الذي يربط القدس برام الله من الجزيرة نت:

<https://youtu.be/TQeOZlshUeU?t=36>

²⁶ هذه الصورة الفوتوغرافية لـ (بيت لحم) إهداء من Tripadvisor ومنشورة على النت.

²⁷ ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، (لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م)، ط3، 320/3-321.

²⁸ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العرب، 1418هـ)، ط1، 150/4.

²⁹ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1966.

³⁰ صفوح خير، غوطة دمشق، دراسة في الجغرافية الزراعية، <https://www.sudoc.fr/055581854>

³¹ الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1970م)، ط1، 1143/9.

³² الملا حويش، بيان المعاني، 351/4.

³³ دروزة، محمد عزت بن عبد الهادي (ت: 1984م)، التفسير الحديث، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ)، ط1، 316/5.

³⁴ ابن عساکر، علي بن الحسن بن هبة الله (ن: 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، 210/1.

³⁵ العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت: 928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد الحميد نباتة، (عمان: مكتبة دنديس، 1999م)، ط1، 69-67/2، وانظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ)، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ط1، ص145.

³⁶ المقدسي، محمد بن أحمد البشار (ت: 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بيروت: دار صادر، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، ط3، ص: 164.

³⁷ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: 184، وانظر أيضاً: محمود أبو عطا: صوت الحق، taghribnews.com/vdcd5j0k.yt0jo6242y.html، تاريخ الدخول: 2011/8/3م.

- ³⁸ رفعها على النت أحمد الحلواني بتاريخ 2011/1/10م.
- ³⁹ الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت) ط1، 283/8؛ ابن سيدة، علي بن إسماعيل المرسى (ت: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م)، 453/2.
- ⁴⁰ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 524/21؛ الملا حويش، بيان المعاني، 351/4.
- ⁴¹ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ط1، ص: 693.
- ⁴² ابن كثير، إسماعيل بن عمر المديني (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طبية للنشر والتوزيع، 1999م)، ط2، 573/6.
- ⁴³ انظر: ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلي، (2004م)، ط1، 803/2؛ الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، 500/20؛ الماوردي، علي بن محمد البغدادي (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1431هـ)، ط1، 10/5؛ أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ط1، 53/9؛ الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (بيروت: عالم الكتاب، 1988م)، ط1، 282/4؛ الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م)، 509/8؛ السمرقندي، بحر العلوم، 118/3؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 260/22.
- ⁴⁴ مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1955م)، ط1، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث 110 (2937)، 2250/4.
- ⁴⁵ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 767هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ)، ط2، 67/18.
- ⁴⁶ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير (ت: 911هـ)، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي، (بيروت: دار ابن حزم، 2012م)، ط1، 1087/3.
- 47upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/5/51/Syria_in_the_9th_century-ar2.png
- ⁴⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 476/5-477.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس التميمي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ)، ط3.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م)، ط1.
- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملقب (ت: 685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (بيروت: دار الشرق، 1992م)، ط3.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، (لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م)، ط3.
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 240هـ)، الجامع لعلوم الإمام أحمد - التفسير وعلوم القرآن، (القيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 2009م)، ط1.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت: 808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (بيروت: دار الفكر، 1981م)، ط1.
- ابن سيدة، علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م)، ط1.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ط1.
- ابن عساکر، علي بن الحسن بن هبة الله (ن: 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ط1.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م)، ط2.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ط1.
- الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، ط1.
- انظر: ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلي، 2004م)، ط1.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997م)، ط4.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ)، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ط1.
- الفعالي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العرب، 1418هـ)، ط1.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (جدة: دار التفسير، 2015م)، ط1.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح (ت: 2022م)، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، (دمشق: دار القلم، 2007م)، ط1.
- الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1970م)، ط1.
- الدره، محمد علي طه، إعراب القرآن وبيانه، (دمشق: دار ابن كثير، 2009م)، ط1.

- دروزة، محمد عزت بن عبد الهادي (ت: 1984م)، التفسير الحديث، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ)، ط1.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ)، المذهب في اختصار السنن الكبرى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، (الرياض: دار الوطن للنشر، 2001م)، ط1
- رابط آخر لفديو أطول: <https://youtu.be/ChD8JbNRCZo>.
- رابط فيه فيديو قصير عن الكنيسة: <https://youtu.be/n-Kc7BNpSa8>، رابط لفديو يعرض طريق وادي النار الذي يربط القدس برام الله من الجزيرة نت: <https://youtu.be/TQeOZlshUeU?t=36>
- الرازي، محمد بن عمر التيمي (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، ط3.
- الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 21، ص: 521، وانظر: النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (ت: 850هـ)، غرائب القرآن و غرائب الفرقان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ)، ط1.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، (بيروت: عالم الكتاب، 1988م)، ط1.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ط1.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير (ت: 911هـ)، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي، (بيروت: دار ابن حزم، 2012م)، ط1.
- الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير للشوكاني، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ)، ط1.
- صفوح خير، غوطة دمشق، دراسة في الجغرافية الزراعية، <https://www.sudoc.fr/055581854>
- الضياء الأعظمي، محمد عبد الله، الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، 2016م)، ط1.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، ط1
- الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، 1967م)، ط2.
- الطبي، الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشف)، تحقيق: إياد محمد الغوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2013م)، ط1.
- العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت: 928هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، (عمان: مكتبة دنديس، 1999م)، ط1.
- العلمي، مجير الدين بن محمد المقدسي (ت: 927هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، (قطر: دار النوادر، 2009م)، ط1.
- العيني، محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ودار الفكر، 1431هـ)، د.ط.
- الفراء، يحيى بن زياد الديلمي (ت: 207هـ)، معاني القرآن، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، 1431هـ)، ط1.

- الفراييدي، الخليل بن أحمد بن عمرو البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت) ط1.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ)، ط1.
- القاضي، عبد الله حسين، مفهوم الاتجاهات الجغرافية في القرآن الكريم: تطبيقات ميدانية لأحداث ورد ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبوية، (الرياض، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: علوم تصاميم البيئة، 7، ص: 51-102 (2013م/1434هـ).
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م)، ط1.
- الماوردي، علي بن محمد البغدادي (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1431هـ)، ط1.
- محمود أبو عطا: صوت الحق، taghribnews.com/vdcd5j0k.yt0jo6242y.html⁴⁸
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1955م)، ط1.
- المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، (الباكستان: مكتبة الرشيدية، 1412هـ)، ط1.
- المقدسي، محمد بن أحمد البشار (ت: 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بيروت: دار صادر، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، ط3.
- الملا حويش، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: 1398هـ)، بيان المعاني، (دمشق: مطبعة الترقى، 1965م)، ط1.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 767هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ)، ط2.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي (ت: 1441هـ)، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (بيروت: دار طوق النجاة، 2001م)، ط1.
- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت: 468هـ)، التفسير البسيط، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ)، ط1، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1415هـ)، ط1، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، ط1.